

رهانات السياسات الإعلامية في تونس ما قبل ثورة 2011: بين الممارسة والتصريحات الرسمية
Tunisian Media Policies bets at the Pre-revolutionary Period :Between Practice and Official Statements

د/ سماح المحمدي¹

¹ - مخبر النخب والمعارف والمؤسسات الثقافية في المتوسط (ESCIMED) - جامعة منوبة (تونس)

تاريخ الاستلام: 2022/07/31؛ تاريخ المراجعة: 2022/10/01؛ تاريخ القبول: 2022/12/18

ملخص:

مرت السياسات الإعلامية في بالبلاد التونسية منذ الاستقلال إلى فترة ما قبل ثورة 2011 بعدة مراحل تداخلت فيها الاختيارات الشخصية للقائد السياسي بالظرف المحلي والعالمي ولكن السمة الأساسية بقيت التضارب بين الممارسة والتصريحات الرسمية. حيث اعتمدت الدولة التونسية منذ الاستقلال على دور الإعلام في التنشئة الاجتماعية وتحديث المجتمع بربط المضامين الثقافية بتشكيل المعتقدات وأنماط السلوك والقيم. كان لتغير القيادة السياسية أثر على تغيير السياسات الإعلامية فلئن كان مبنيا على مشروع التحديث إبان الاستقلال فإن السياسة الإعلامية الجديدة انبنت على المصالحة مع الهوية ودعم مشروع التعريب التي أقرها ميثاق 1988 والذي جاء ردا على الصدامات بين السلطة والتيارات السياسية ذات التوجه الديني حول هوية الدولة. كما كان للتوجه العالمي نحو تحرير الإعلام والاقتصاد أثره البائن على المشهد الإعلامي بتحويله من الاحتكار إلى التعدد ومن المضامين الهادفة إلى الإعلام الترفيهي.

الكلمات المفتاح: السياسات الإعلامية ؛ الرهانات ؛ الممارسة ؛ التصريحات الرسمية

Abstract:

Media policies in Tunisia, from independence to the pre-revolution period, passed through several stages in which the personal choices of the political leader overlapped with the local and global circumstances, but the main feature remained the conflict between official practices and statements. Since independence, the Tunisian state has relied on the role of the media in the socialization and modernization of society by linking cultural content to the formation of beliefs, behavior patterns, and values. The change in political leadership had an impact on changing media policies. If it was based on the modernization project during independence, the new media policy was based on reconciliation with identity and support for the Arabization project approved by the 1988 charter, which came in response to the clashes between the authorities and religious political currents over the identity of the state. The global trend towards liberating the media and the economy also had a clear impact on the media scene by shifting from monopoly to pluralism and from content aimed at entertainment media.

Keywords: Media Policies ; Bets ; Practices ; Official Statements

مقدمة:

يعد الإعلام من الوسائل الضرورية لخلق تآلف ثقافي بين أفراد المجتمع. ذلك أن دوره يتمثل في التطبيع والتنشئة الفكرية والاجتماعية. وهو الذي يشكل القيم والمبادئ والملامح الحضارية للمجتمع. ويضبط اتجاهاته السلوكية. فالرسالة الإعلامية قادرة على تكوين الأذواق من خلال مضمونها الثقافي، وقدرتها على التأثير. وهي تعتبر من وسائل الاتصال الجماهيرية التي تمثل مضامينها لبنة مهمة في تكوين خلايا البناء الاجتماعي.

اعتمدت السياسات العامة للبلاد التونسية على الإعلام كوسيلة تحقق بها ديمقراطية الثقافة التي اعتبرت آلية هامة من آليات السياسة الثقافية. ولئن فصلت الإعلام عن الثقافة منذ 1991، فإن الثقافة بمعناها الواسع ظلت حاضرة ضمن البرمجة الإعلامية. فقد بقيت وسائل الاتصال الجماهيرية تحت سلطة الدولة بامتلاكها لإذاعات وتلفزة وطنية وصحف ناطقة باسمها. ولمعالجة هذه الروقة ارتأيت أن أطرح التساؤلات التالية:

- فما هي ملامح المشهد الإعلامي التونسي؟
- ماهي رهانات المشهد الإعلامي التونسي ؟
- أي مدى توافقت الممارسة مع والتصريحات الرسمية؟

1. السياسة الإعلامية ورهان التحديث بعد الاستقلال:

قبل الولوج في تحليل السياسات الإعلامية بالبلاد التونسية وجب التعرض لمفهوم السياسة الإعلامية ولو بإيجاز فكما عرفتھا اليونسكو بأنها "مجموعة المبادئ والمعايير والقواعد التي تحكم توجه سلوك الأنظمة الإعلامية والتي عادة ما تشتق من شروط الإيديولوجيا السياسية والقيم التي تتركز إليها في بلد ما" (حميد جاعد، 1998، ص73)

عولت الدولة التونسية منذ استقلالها، على دور الإعلام في إعادة صياغة القالب الثقافي للمجتمع غايتها في ذلك التحديث. ولتحقيق هذا الهدف ربط قطاع الثقافة بالإعلام نظرا لتشابك الأهداف وتكامل المجالين. فالجتمعات هي صور ثقافية كما يعتبرها "توماس ألبوت" في تعريفه للثقافة بشكلها الواسع. إذ تتشكل هذه الصور الثقافية وفقا لعوامل تشبئية عديدة تختلف روافدها من العائلة إلى المدرسة إلى جماعات الأقران ثم الإعلام.... وهو ما يمكن أن يعيد طرح العلاقة بين المضامين الثقافية التي يتلقاها الفرد عن طريق وسائل الإعلام وتشكل المعتقدات والتصورات والقيم وأنماط السلوك. فيتجاوز بهذا الوظيفة الإخبارية إلى صناعة الأذواق وتوجيه الآراء والثقافة المجتمعية.

في بحث قامت به الباحثة وأستاذة علم الاجتماع "بدرة بشير" خلال الثمانينات حول النمط الثقافي المقدم من خلال وسيلة الإعلام الأكثر جماهيرية وهي التلفزة، وجدت بأنها تقدم نموذجا للهئية واللباس والسلوك واللهجة، وهي نماذج يقع عرضها على أنها عفوية. غير أنها ترمي إلى غرس عوامل ضبط السلوك وتقليد الأنماط السلوكية بطرق لا واعية، ووضعها

كنموذج للحدثة التي كانت عنوان تلك الفترة. وهو ما يعزز نظرية "ماكس فيبر"، الذي يعتبر أن النمو السياسي والاجتماعي والاقتصادي مرتبط بالتنشئة الاجتماعية.

2. رهان المصالحة مع الهوية:

تغيرت في أواخر الثمانينات القيادة السياسية. وهو ما يعني ضرورة تغير النظرة للإعلام وrehاناته الثقافية. إذ "يجمع خبراء الثقافة والإعلام على أن وسائل الإعلام والاتصال تلعب دورا حاسما في المجال الثقافي باعتبارها الناقل الأساسي للثقافة، وباعتبارها أدوات ثقافية تدعم المواقف وتؤثر فيها وتلعب دورا أساسيا في تطبيق السياسات الثقافية" (سهير جاد، 1997، ص15) .

تسيطر الدولة على المشهد الإعلامي من خلال امتلاكها لمؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية، التي تضم قناتين تلفزيونيتين قناة تونس7، وقناة 21 قناة الشباب، وثمانية قنوات إذاعية (الإذاعة الوطنية، وإذاعة الشباب، والإذاعة الدولية، وإذاعة تونس الثقافية، بالإضافة إلى خمس إذاعات جهوية: الكاف، صفاقس، المنستير، قفصة، وتطاوين. ورغم اعتمادها للنموذج الاقتصادي الليبرالي وتفويتها في مؤسسة النشر الحكومية ومؤسسة التصوير السينمائي، إلا أن الدولة احتفظت بالمؤسسة الإعلامية. حتى أن التعددية الإعلامية والتلفزية والإذاعية، لم تظهر إلا بداية من سنة 2003. حيث تحول قطاع الإعلام في تونس من مرحلة الاحتكار إلى الخصخصة. لتنتقل إذاعة "موزاييك أف أم"، ثم تلتها إذاعة "الجوهرة" سنة 2005، وإذاعة "الزيتونة" للقرآن الكريم سنة 2007 والقناة التلفزية "حنبل" في عام 2005، وقناة "نسمة تي في" سنة 2007.

ترتبط جل البرمجيات عبر القنوات الإعلامية العمومية بنوعية من البرامج الثقافية التي يغلب عليها الطابع الترفيهي. فتعتمد الغناء والرقص والشعر، مع غياب شبه كلي للثقافة العلمية. غير أن الملاحظ أن التمويل للبرامج الثقافية والفنية يظهر بشكل واضح في كثافة البرامج التي تعنى بالتراث الثقافي. وهو ما يمكن أن يكون توأما مع سياسة الدولة التي تهدف إلى الترويج للتراث الثقافي، والتشجيع على السياحة الداخلية والخارجية ضمن إستراتيجية تطوير قطاع السياحة الثقافية.

كما أن اللغة الرسمية إلى جانب اللهجة المحلية أي اللغة العربية، هي لغة التواصل ضمن التلفزة والإذاعة الرسمية، على خلاف القنوات الخاصة التي تعتمد الإزدواجية اللغوية في الخطاب الإعلامي. وهو فيما يبدو تواصل مع مشروع المصالحة مع الهوية التي تضمنها الميثاق الوطني لسنة 1988.

يعتبر هدف الانفتاح على الحضارات هدفا من الأهداف الكبرى. وضعت له الدولة إستراتيجيات في المجال الثقافي والتربوي وكذلك الإعلامي. إذ تبث القنوات الإذاعية الوطنية برامج باللغات العربية والفرنسية والإيطالية

والإسبانية والإنجليزية، في خطوة نحو الانفتاح على الحضارات واللغات الأجنبية لتعزيز قيمة التسامح. بالإضافة إلى ذلك تبرمج مسلسلات مدبلجة مكسيكية وبرازيلية منذ التسعينات ثم تركية في السنوات الأخيرة. وقد تميزت هذه المسلسلات بقدر كبير من الجرأة التي لم يتعود عليها التونسيون، بالإضافة إلى اختلاف في القيم والثقافات حد التضاد. "ظل المشاهد العربي لأكثر من عقد ونصف من الزمن يسبح في بحر عميق وخطير هو المسلسلات البرازيلية، التي كانت تبثها تقريبا وبدون استثناء القنوات العربية والرسمية منها بالخصوص. ها هي اليوم تطل علينا المسلسلات التركية المدبلجة أراها أكثر خطورة من الأولى، أكثر خطورة لأنها تبث نموذجا للمسلم الذي أفرغ من محتواه : بإمكانك أن تكون مسلما وأنت شارب للخمر و أن تكوني مسلمة شبه عارية وسلوكيات لا تمت بصلة للإسلام" (مفيدة عبدولي، 2010). ربما تكون هذه البرامج جزءا من المعركة الرمزية مع حركة النهضة الفصيل الرسمي للإسلام السياسي بتونس في خضم إشكالية بناء هوية المجتمع التونسي. فقد مثلت الهوية محل نزاع بين الدولة بمشروعها التحديثي منذ حكومة الاستقلال والحزب الديني بمشروعه المبني على الهوية الإسلامية وإلغاء الخصوصية التونسية. إذ أن "الإخبار يعني دائما تشكيلا اجتماعيا للواقع قادرا على إحداث تأثيرات اجتماعية تعبوية... والتلفزيون الذي يدعي أنه جهاز تسجيل يتحول إلى جهاز تشكيل للواقع" (Pierre BOURDIEU, 1996, pp 20-21).

لا تعتمد التلفزة الوطنية التونسية على الإنتاج المحلي بصورة كلية، رغم تكفلها بشراء المسلسلات والأفلام السينمائية التونسية. ويعود ذلك إلى ندرة الأعمال وموسميتهما والتي كثيرا ما ارتبطت بشهر رمضان. فقد بدا الواقع التلفزي يعاني أزمة مستفحلة من العجز عن صناعة المحتوى وعدم القدرة على ملء ساعات من البث التلفزي. فاعتمدت على المسلسلات المصرية خلال أوقات الذروة لملء الفراغ. حتى أن هناك من انتقد هذا التوجه، بعد أن ظهر التأثير الكبير للهجة المصرية على المجتمع التونسي، خصوصا في صفوف الفئات الهشة محدودة الثقافة. وقد تندر كثيرون بمحادثة كتابة تلميذة لموضوع إنشاء باللهجة المصرية، مما جعل مشروع التونسية وتعزيز الهوية التونسية مهددا أمام الكثافة الإعلامية للإنتاج الفني المصري ضمن التلفزة التونسية.

في بحث أعدته وزارة الثقافة والشباب والترفيه لسنة 2003 و2004، وضعت جدولا إحصائيا يضبط عدد ساعات البث الإذاعي بأصنافها. فثبت أن الإذاعة الوطنية تبث باللغة العربية 15330 ساعة سنويا، خلال سنتي 2003 و2004. بينما تحتل اللغات الأجنبية 6570 ساعة سنويا، خلال نفس الفترة، تمثل بذلك نسبة 42.85 بالمائة مقارنة بساعات البث السنوي باللغة العربية. وهي نسبة تعد كبيرة بالنسبة إلى بلد أقر اللغة العربية ضمن دستوره. فبقي المشهد الإذاعي التونسي لا يمثل تصالحا كبيرا مع الهوية التونسية باعتبار اللغة مقوما من مقومات الهوية. وهي ظاهرة تكاد تكون شاملة لكل المنطقة المغاربية، "أما في بلدان المغرب العربي، فإن الإذاعات الجهوية، أخذت تنقل برامج

فرنسية كاملة حاملة لقيم تختلف تماما عن قيم مجتمعاتنا الإسلامية، ما دعا أحد اللغويين المغاربة إلى القول أن هذا النوع من الإعلام فتح المجال لإعادة استعمار المغرب من جديد، حيث أن هذه الإذاعات الخاصة...تفتخر بإعلان تبعيتها للغة والثقافة الفرنسييتين انطلاقا من لغة الحديث والحوار والاختيارات الغنائية، ومرورا بنقل عدد من البرامج مباشرة من إذاعات فرنسية، وانتهاء بتغطية الحياة الفنية والثقافية والإعلامية بفرنسا" (علي القاسمي، 2012، ص 218) .

أما الثقافة المرئية التي تمثلها التلفزة، فإنه تم تسجيل ما يقارب 6570 ساعة بث باللغة العربية سنّي 2003 و 2004 مع غياب تام للغات الأجنبية. كما مثلت عدد ساعات البث للقناة الثانية أو قناة الشباب (قناة 21)، 2920 ساعة بث سنويا باللغة العربية لسنة 2003 و 2004 على التوالي. وهو ما لا يمكن تفسيره ولا فهم الاستراتيجية الحكومية من خلال وضع برمجيات ضمن الإذاعة المسموعة باللغات الأجنبية، مع تغيبها ضمن المشهد الإعلامي البصري.

في نفس الدراسة، أجرت وزارة الثقافة والشباب والترفيه، مسحا لعدد الدوريات والصحف الصادرة بالبلاد التونسية لسنّي 2003 و 2004، وجدت بأن الصحف اليومية والتي يبلغ عددها سبع صحف، 4 منها ناطقة بالعربية و 3 منها تصدر باللغة الفرنسية. أي ما يعادل نسبة 57.14 بالمائة منها باللغة العربية. وهي كلها إخباريات جامعة (الشروق - الصباح - الصحافة - الحرية - la Presse-le Temps-Le Renouveau).

أما الأسبوعية فقد بلغ عددها 25 صحيفة، من بينها 18 صحيفة باللغة العربية و 5 ناطقة باللغة الفرنسية، وواحدة باللغة الإنجليزية. بينما كانت صحيفة "الملاحظ" وهي إخبارية جامعة تصدر باللغتين العربية والفرنسية. أي ما يعادل نسبة 72 بالمائة من الإصدارات الأسبوعية باللغة العربية. وقد تعددت مضامينها بين الإخبار والفلاحة والأخبار النقابية والثقافة والفنون والتكوين والتشغيل والرياضة والاقتصاد (البيان - الصباح الأسبوعي - الأسبوع المصور - الصريح - الحدث - الملاحظ - العهد - الإعلان - الأنوار - الأخبار - أخبار الجمهورية - الشعب - الفلاح - الإذاعة والتلفزة - أضواء العقد - صباح الخير - الصدى - أخبار الشباب - Tunis Hebdo-L'hebdo touristique - (Réalités-Tunisia News-Flash UTICA-Promosport).

و الدوريات النصف شهرية فقد بلغت أربع دوريات، كلها ناطقة باللغة الفرنسية. تراوحت مجالاتها بين الاقتصاد والسياحة والمالية، لتبلغ بذلك نسبة 100 بالمائة باللغة الفرنسية من الإصدارات الشهرية (L'expert- Profession - tourisme - L'economiste-Maghrebin-Tourisme Info).

كما أن الصحف والمجلات الشهرية فقد بلغ عددها 31: منها 19 باللغة العربية. أي ما يعادل 61.29 بالمائة من مجموع الدوريات عموما. و 12 منها تصدر باللغات الأجنبية. كان نصيب الأسد فيها للغة الفرنسية. تليها اللغة

الإيطالية. وقد تنوعت مجالاتها إلى ثقافية وشبابية وخاصة بالأطفال والسياحة والفلاحة والطبية والعلمية والقضائية والاقتصادية والأدبية والنسائية والفنون التشكيلية والإنترنت- الدفاع (الحياة الثقافية - الجيل الجديد - قوس قزح - الوفاق العربي - مجلة الفلاحة - شمس الجنوب - مواصفات - الدفاع - المرأة - مجلة الرياض - علاء الدين - عرفان- القنال- القضاء والتشريع- الجوهرة الفنية- مرآة الوسط- الجزيرة- تونس الخضراء- الميثاق (- Trait d'union- Sciences Plus-La gazette du sud- Conjoncture- Nuance-Correiri Di tunisie- Maghreb Médical- Afrique Economie-Tunisie Economie- Tunisie Economique- Le manager- L'espace Pictural-Planet Magazine)

تصدر كذلك دوريات كل شهرين بما مجموعه 12 بين صحيفة ومجلة بينها 6 صحف ناطقة باللغة العربية أي ما يعادل النصف لتصدر الستة الأخرى باللغة الفرنسية، وقد تعددت مجالاتها بين الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والديني والعلمي والتشغيل ورياضة الشطرنج والرياضة والأخبار وشؤون المرأة (رحاب المعرفة - الهداية - المهندس التونسي- أصداء التكوين- حضر موت - أصداء الحلبة- Revue de L'Entreprise-Info credif-Ping Pong -Corrier de L'Industrie- L'expert- 16 Contre 16)

بلغت مجموع الدوريات الفصلية 19 مجلة وصحيفة. منها 12 تصدر باللغة العربية أي ما يعادل 63.15 بالمائة، وسبعة باللغة الفرنسية. تطرقت في مضامينها إلى المجال الاقتصادي والمالي والاجتماعي والعلوم الإنسانية والفلاحة والتاريخية والديبلوماسية والعلمية والسياسية والصحة المهنية والتاريخ والأسرة (المستثمر الفلاحي- مجلة العلوم الاجتماعية- الفن السابع- صدى الأمهات- الحياة النيابية- الصادقية- دراسات دولية- المستهلك التونسي- الصحة والسلامة المهنية- معالم ومواقع- مجلة الحماية المدنية- المدار- R.Comptable et Finance- Revue de L'Economie- Cahiers de tunisie-Tunisie Chirurgicale- Astrolabe- R.de L'Hist.Magh- Le Diplomate)

تصدر صحف ودوريات سداسية، بلغ عددها الستة من بينها 4 باللغة العربية واثنان باللغة الفرنسية، أي ما يعادل 66.66 بالمائة من مجموع الدوريات باللغة العربية. وقد تراوحت مجالاتها بين الثقافية والعلمية والجغرافيا والاقتصاد والفلسفة والتوثيق (IBLA-RT.Géographique- دراسات أندلسية- مجلة الرقابة والتصرف-دراسات فلسفية- م.ع للتوثيق والأرشيف).

فالدوريات الصادرة سنويا، فقد بلغت عشر بين صحيفة ومجلة، منها 7 باللغة العربية أي ما يعادل 72.72 بالمائة و3 باللغة الفرنسية. وقد تعددت مجالاتها لتشمل علوم التربية والتاريخ والإحصاء والقانون والعلوم الطبية والبحوث العلمية (مجلة علوم التربية- مجلة الدراسات العثمانية- نشرية محكمة التعقيب- الأحداث القانونية- مجلة المعجمية- دراسات قانونية- مجلة المناطق القاحلة- Indicate.Statis.en tunisie-Microbiologie Actualité (juridiques).

رغم التنوع الإعلامي المكتوب، من حيث المضامين والمحتوى. إلا أن اللغة الفرنسية احتلت حيزا هاما من المشهد الإعلامي المكتوب خاصة، فهي تنافس اللغة العربية لتكرس بهذا التوجه الازدواجية اللغوية التي خلقت نوعا من النخبوية. فالجملات والدوريات العلمية تكاد تكون جملها باللغات الأجنبية. بما يطرح أسئلة عديدة عن الهوية. وهو أمر ليس مقتصرًا على الصحف فقط. إذاعة الزيتونة للقرآن الكريم، رغم طابعها الديني البحت الذي يدفع إلى الرجوع إلى الهوية الدينية ومقوماتها اللغوية، تبرمج ضمنها حصص باللغة الفرنسية بغاية دعم قيم التسامح. "تسامح بدا مبالغًا فيه عندما ينتقل البث إلى الفرنسية دون سابق إنذار في إذاعة القرآن الكريم. ولنا أن نسأل القائمين على هذه الإذاعة كم من برامج تبث حول مختلف الديانات ومنها الاسلام في القنوات الفرنسية وخاصة منها قناة فرنسا الثانية هل هناك برنامج واحد يبث بغير الفرنسية؟ ألم يمنع قانون المساجد الجديد في فرنسا إلقاء خطب الجمعة بغير اللغة الفرنسية؟" (سالم ليبض، 2007)

3. التضارب بين الممارسة والتصريحات الرسمية ضمن السياسات الإعلامية:

بدا المشهد الإعلامي بملاحمه التي تركت حيزا كبيرا للغات الأجنبية على حساب اللغة المحلية، غير متصالح مع الهوية التي أقرها ميثاق 1988. فاللغة العربية باتت تنافسها اللغات الأجنبية واللهجة العامية التي تغزو وسائل الإعلام. رغم أنه "المستجيب الأول لاحتياجات الجماهير التعبيرية، والمبتدع الأساسي لمعظم المادة اللغوية المستحدثة، إنه هو المضخة التي تقذف في شرايين اللغة العربية من حين إلى آخر بآلاف الكلمات والتعبيرات الضرورية، التي قد تعجز المجامع اللغوية عن ملاحقتها ومتابعتها" (علي القاسمي، 2012، ص 215).

بعد إقرار التعددية الإعلامية، ظهرت قنوات وإذاعات تتماهى والمشهد الإعلامي العالمي الذي غلب عليه الترفيه والإيقاع السريع والخطاب باللهجة الدارجة. بالإضافة إلى غياب الهوية بمقوماتها و بروز ثقافة الشارع ضمنها. لتنتهي مرحلة كان فيها الإعلام ملتزما نخبويا ذا خطاب تثقيفي. ويظهر عصر إعلامي جديد. سقطت ضمنه النخبة وبرز النمط الشعبي. "فقد كانت "موزاييك" في السنوات القليلة الماضية الأكثر شهرة وانتشارا. هي إحدى إفرازات مرحلة اللامعنى التي تزامنت مع العولمة. فلا مكان لمنظومة القيم التي أنتجها المجتمع خلال مسيرته الحضارية الطويلة ولا مكان للغة. فميزة العصر الرئيسية هي اللامعنى أو الخليلط الذي تحوّل إلى نوع من التلوث اللغوي. ولا موقع لديانته. فالزمن قد تحوّل إلى مثل تلك الظواهر التي باتت تتصف بالعتاقة أو هكذا هو الموقف مستبطنًا. أما الفنون وخاصة الغنائية منها فهي عالمية ضرورة وهي سريعة أو لا تكون. وهو الأمر الذي ينسحب على نوعية القضايا المثارة وكيفية معالجتها. خلاصة كل ذلك هو أن "موزاييك" هي عينة ممثلة للمؤسسة الإعلامية والثقافية التي تختزل المقولة الخلدونية الذائعة الصيت

"المغلوب مولع بالتشبه بالغالب". لقد وجدت «الزيتونة» نفسها ودون سابق وعي أو تخطيط من القائمين عليها تتعقب الارث الذي بدأ يتراكم بفعل تأثير "موزاييك" وربيباتها من إفساد للغة والذوق وتخطيط للعقل" (سالم لببض، 2007).

ظهرت قناة الزيتونة للقرآن الكريم وسط مناخ من التصحر للثقافة الدينية ضمن المجتمع التونسي بعد تخفيف جميع روافده. فهي تعد سابقة غير اعتيادية تتخلل المشهد الإعلامي التونسي. فبعد أن كان نصيب الثقافة الدينية من الإعلام مناسباتيا بالإضافة إلى برجة بث القرآن الكريم في غير أوقات الذروة. بل في أوقات لا يكاد الفرد قادرا على متابعته بين ساعة متأخرة من الليل والصباح الباكر. تظهر قناة الزيتونة الدينية بعدما راج عن السياسة الدينية كونها بقيت حكرا على الدولة. تنظم شؤونها ضمن وزارة للشؤون الدينية. ولا تسمح بأي نشاط ديني خارج هيكلها أو مؤسساتها. وقد أرجع البعض هذا التراجع عن السياسات الإعلامية الخاصة بالجمال الديني إلى عدة أسباب. إذ "يرى بعض المدافعين عن الاذاعة الجديدة أنها ستلعب دورا إيجابيا في الحد من الظاهرة السلفية والجهادية التي بدأت تفلت من الرقابة والسيطرة وتهديد أمن المجتمع التي بلغت أوجها في هذه المرحلة من تاريخ المغرب العربي. حيث تمثل أحداث سليمان في مطلع السنة الجارية وأحداث الجزائر المتتالية والتي كان آخرها تفجيرات يوم 2007/12/11 خير دليل. ذلك أن «الزيتونة» تروج لنفسها على أنها قناة الاعتدال والتسامح والوسطية، قد يكون ذلك صحيحا من حيث صدق النية. لكن حسن النوايا غير كاف في مثل هذا الواقع فرسالة «الزيتونة» تبدو دقيقة وعسيرة وحفاظها على الجمهور الذي بدأت تكسبه يبدو أعسر. فالفضاء الاعلامي مثقل بالقنوات الدينية المتعددة المشارب والمذاهب والايديولوجيات التي تقف وراءها دول وحكومات أو أصحاب مال وأعمال ولكل أهدافه ومراميه واستراتيجياته" (سالم لببض، 2007).

ليس غريبا أن يتغير تعامل الدولة مع الخطاب الديني ضمن الإعلام. فظهور القنوات الفضائية وانتشار شعبيتها داخل الأوساط الشعبية الباحثة عن الهوية المفقودة، كان دافعا لظهور توجهات جديدة في السياسة الإعلامية. فالإسلام المشرقي المتشدد قد غزا الشاشات. وأصبح يهدد النمط الديني المتسامح الذي حاولت الدولة بناءه لعقود. ليصبح صراعا بين أنساق ثقافية تمثله قنوات تحمل خطابا دينيا متشددا وقناة الزيتونة التي تمثل الإسلام المتسامح المعتدل الذي ينبذ العنف ويستبعد السياسة من المجال الديني. بالإضافة إلى التيسير في الأحكام الدينية.

5. خاتمة:

إن التحولات في السياسات الإعلامية متصل أشد الاتصال ببقية المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، إذ أصبح معبرا عن أنساق جديدة. فقد بدا تحوله تماشيا مع الليبرالية الاقتصادية من الاحتكار إلى التعدد. كما ألقى الوضع الراهن بضلاله على مضامينه من خلال عولمة الإعلام وتنميته. غير أن الواضح أن قضية اللغة العربية كمكون أساسي من مكونات الهوية التونسية والرقم الأصعب في معادلة البحث عن الهوية ظلت تحت هيمنة اللغات الأجنبية ضمن المشهد الإعلامي، خصوصا بعد تحريره. بالإضافة إلى أن تغير المشهد الإعلامي العالمي وعولمته، قد أفرز ثقافة جديدة جعل السياسة الثقافية تفلت إلى حد ما من قبضة السياسات الرسمية، رغم محاولات التطويق برسم سياسات إعلامية جديدة تغيرت فيها المواقع والاستراتيجيات.

قائمة المراجع:

- سهير جاد، البرامج التلفزيونية والإعلام الثقافي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.
- علي القاسمي، السياسة الثقافية في العالم العربي، ط1، بيروت : مكتبة لبنان ناشرون، 2012.
- حميد جاعد محسن، التخطيط الإعلامي، المفاهيم والإطار العام، دار الشروق عمان، 1998
- مفيدة عبدولي، فاحشة المسلسلات التركية أدهى وأمر، مقال منشور على الجريدة الإلكترونية "الحوار نت"، بتاريخ 02-05-2010.
- سالم لببض (2007)، المشهد الإذاعي في تونس: الزيتونة بعد شهرين .. بين الانجاز والمأمول، جريدة الصباح التونسية 16-12- . (مقال منشور على المدونة الإلكترونية للمؤلف) <http://salemlabiadh.blogspot.com/2009/04/2003.html>
- BOURDIEU, Pierre (1996), Sur la télévision, Raison D'agir Eds.